في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم اذ ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم . وانما يرجعون الى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضعون أو يشتقون للمعاني التي تحول في نفوسهم من الكلمات ما يغنيهم عن التعلق في ذلك على سواهم . أما الجواهر والاعيان . فقد يتعذر أو يتعسر عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد ان ضرب المستبضعون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيار واللوبيا والباذنجان والكوب والاريق والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والدانق والدرهم والدينار والعربون الى غير ذلك اسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الاسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا الى أن يرجعوا بها ويلقوا حبلها على غاربها اه المراد منه

وثمن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

باب الخطب والآداب

نصيحة

﴿ لمسلمي بيروت عامة ، وفتيانهم الشجعان خاصة ﴾

انني في كلامي عن البلاد السورية قد فضلتكم على غيركم ، ورجوت منكم فيها مالم أرجه من سواكم ، وانما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تنشيطاً للعاملين ، وتنبيهاً للخاملين ، ذلك بأنني رأيت من احترام الحرية عندكم مالم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرهما من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والتربية لم أر نظيرها على ضعفها في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحمدتكم .

ثم إني أقمت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ، فأحببت أن أنصح لكم فيه كتابة كما نصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة، عسى أن تكون الكتابة أعم وأنفع ، ولا أقول ان هذا الامر المنتقد خاص بكم وإنما أرجو ان ترجعوا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تتكون الحكومة الجديدة وتستقر فترجعهم عنه بالقوة القاهرة ان لم يرجعوا خوفا منها .

ذلك الأمر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب ألقيته في نادي الجامعة العثمانية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لا سيما حرية أصحاب الصحف . وقد حمدكم العقلاء لاستنكاركم حادثة الشام وحملكم على المفسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في فهمه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الانقلاب ؟

كاد يقع الخصام بل الاقتحام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطانا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم: إن جريدة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود إلى ذلك. ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الانكار بعض الشبان فانبرى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من ابناء جنسه فتساهل الاولون وانتهى الكلام بانتداب رجلين لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر ولما جاآه للسؤال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقنعتهما بأن الاهانة لا تكون لا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن بعمل عملا يصير به مرتدا لا عاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وانما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح ربانية مؤثرة ينفع بها القارئين . وقلت لهما ان جميع جرائد المسلمين

في مصر وفي بيروت وغيرهما من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناولت من جرائد كانت بجانبي نسخة من المويد فأطلعتهما على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية. وما زلت بهما حتى خرجا مقتنعين بأن من من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبلا يدي بعدان كانا حديثهما معي حديث الخصم مع الخصم فدل ذلك على حسن نيتهما

ثم ان صاحب جريدة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالتربية والتعليم وما تقتضيه حال العصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخلطاءهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار . فوسوس شيطان التفريق الى بعض الفتيان المتحمسين قال ان صاحب جريدة كذا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من بائع تلك الجريدة فمزقها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل اهانه بعضهم بالفعل ، وطاف آخرون على بعض المشتركين بالجريدة فرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رآني استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تبعني وسألني عما كتبه عن المسلمين فقلت له كتب كيت وكيت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلمها وعلى تحصيل الثروة ليكونوا من أغنى الناس واعزهم . وأفهمته بأنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين يهان بهوانهم و يعتز بعزتهم و يشرف بشرفهم من غير ان يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو ربحا من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مفاسد هذا الشقاق الذي يلقيه بعض أهل الاهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم . فانثنى مقتنعا شاكرا

هذا ما تركت عليه بيروت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي اليها صليت الجمعة في أحد المساجد فاذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه مامعناه : انكم قد تركتم الاسلام وأين الدليل على إسلامكم وأنتم تعملون كذا وكذا حتى قال وتشبهت نساؤكم بالعاهرات . فقلت في نفسي لو كان

هذا الخطيب في بيروت لأنزلوه عن المنبر بالقوة ومنعوه من إتمام خطبته

مع هذا كله أقول الآن كما قلت من قبل ان مسلمي بيروت أقرب الى الخير والاستعداد للترقي من غيرهم وأبعد عن الفتن التي تحول دون الأعمال النافعة واكثر مايفتقد عليهم مما ذكر يقع منهم بحسن النية غالبا لا أعرف فيهم غير رجل واحد يحب إثارة الفتن بسوء نية ولعله يندر ان يوجد له أمثال ونظراء في ذلك

فالذي ننصح به لهم ولغيرهم هو ان يعلموا انه لا شيء أضر على الأمم من التفرق والشقاق لأجل الخلاف في الفهم والرأي سواء كان في أمر الدين أو أمر الدنيا فضرره أكبر الكبائر — كالقتل والزنا وشهادة الزور — هو دون ضرر التفرق والشقاق في الأمة لأن هذا الجرم هو المانع من وحدة الأمة وعزها وقوتها وهي متى قويت تقدر على منع سائر الجرائم ومتى كانت ضعيفة بالتخاذل لا تقدر على منع شيء من المفاسد ولا على إقامة شيء من المصالح . ولذلك توعد الله تعالى على التفرق والخلاف بما لم يتوعد على غيره بل جعل المتفرقين في الدين برآء من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه فقال (٦ : ١٥٩ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأنزل يوم تلاحى نفر من الأوس والخزرج وذكروا ما كان من مشاقة بعضهم لبعض يوم بعاث (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

فالمتدبر للقرآن يرى انه تعالى ينهانا ويحظر علينا التفرق والخلاف ويحتم علينا أن نكون أخوة متحابين ويفرض علينا مع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أهان أخاه واحتقره أو آذاه لأنه قال أو كتب ما يخالف رأيه لا يكون آمرا بالمعروف وهل يوجد أحد من الناس يقول ان الاهانة والايذاء من المعروف ؟ ؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بأن يجادل المشركين بالتي هي أحسن فهل يرضى

منا ان نجادل إخواننا المؤمنين بالتي هي أسوأ وأقبح؟ أما ماقال الله عز وجل (١٦:٥١٢ أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) اما قال مع ذلك (٣٣:٢١ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)؟

ان الله تعالى ما ذكر فرضية الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع النهي عن التفرق والاختلاف الا لأن هذه الفريضة هي سياج وحدة الأمة وحفاظها فإقامتها تمنع التفرق كما قال الاستاذ الامام فاذا جعلنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببا للتفرق والخلاف والعداوة بين المسلمين نكون قد قلبنا مقصد الدين ونقضنا ميثاقه وقطعنا ماأمر الله به ان يوصل وافسدنا في الأرض (١٣:٢٥ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط وآداب فصلناها في التفسير المنشور في الجزءين الثامن والتاسع من مجلد المنار العاشر ولا يصلح لها على الاطلاق الا أهل العلم والعرفان . فأي إفساد في الدين والدنيا شر من إغراء العامة بالافتيات على أهل العلم وحملة الاقلام والتصدي لأمرهم ونهيهم . بل وجد من شياطين الافساد والتفريق من اغرى العامة بمنع بعض خطباء المساجد من خطبة الجمعة !! حدثني بذلك بعض شبان بيروت فقلت له ان الخطبة فريضة دينية كالصلاة فهل يجوز لنا ان نمنع مسلما من اداء الصلاة لأننا غضبنا منه بحق أو بباطل؟ إذا جاز لنا هذا جاز لنا ان نمنع كل من اذنب ذنبا من اداء الصلاة والصيام والزكاة والحج وأن نشترط العصمة في كل طاعة من الطاعات . ولا يبيح لنا ديننا ان نقول بعصمة أحد بعد الانبياء وقد ختمهم الله تعالى ببعثة نبينا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم ولم يقل احد من المسلمين الذين يعتد أحد من بعده الا ماقاله الامامية من الشيعة في الأئمة الاثنى عشر من آل بيت النبي باسلامهم بعصمة عليه وعليهم السلام

فعلم مما بيناه أن التصدي لإهانة الناس الذين يظن أو يعلم انهم اخطأوا هو من المفاسد المحرمة شرعا والقبيحة عقلا وكل من يغري بها فهو شيطان رجيم يجب

عصيانه والبعد عنه والاستعاذة بالله من شره. والاجتماع لأجل هذه الجريمة والتعاون عليها يزيد في قبحها وإثمها قال الله تعالى (٥ : ٢ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

بعد هذا كله أقول لفتيان بيروت الذين يعرفون بلقب «الأبطال» انكم أيها الشجعان البواسل قد عطرتم الأرجاء بمحمدة عظيمة ظهرت منكم في أيام إعلان الدستور ولا تزالون تحافظون عليها حتى اثنى عليكم العقلاء في غير بلادكم بما لم يثنوا به على سواكم ألا وهي محاسنة خطائكم وعثراتكم في وطنكم من المشاركين لكم فيما عدا الدين من شؤون الحياة . فهل يليق بكم بعد فضيلة مسالمة هؤلاء ان تتلوثوا برذيلة معاداة من يشاركم في كل شيء حتى في الدين فتكونوا كمن نزل فيهم قوله تعالى (٥٩ : ١٤ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)؟ حاشاكم ان ترضوا بذلك عالمين به وانما يغشكم الغاشون فلا تكونوا آلة لهم في اهوائهم

لا أقول انه ينبغي ان تخدموا بلدكم باتقان كل واحد منهم لعمله فقط فانكم تستطيعون أكثر من ذلك . انكم تستطيعون ان تتعاونوا دائما على منع العدوان حتى يصير نادرا وتتعاونوا على إصلاح ذات البين عند ما يقع شقاق أو خصام بين اثنين أو جماعتين ولكنكم لا تقدرون على الهيمنة على العلماء والسياسيين والمراقبة على الخطباء والمحررين ونفع الامة بايقاف هؤلاء عند حدود لا يتعدونها . وانكم اذا تصديتم لذلك تضرون الامة ضررا عظيما . ولا تستقلوا ماقلت انكم لا تستطيعونه فانه أمر عظيم مقدم على كل أمر لأنه يتعلق بالامن والراحة العمومية وهو أول شيء تطالب به الحكومة فاذا قمتم في بيروت بعمل لا تزال الحكومة مقصرة فيه في كثير من البلاد فانكم تستحقون من الناس الثناء الجميل ومن الله الثواب الجزيل